

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ ٢٠ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢١ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢٢﴾ [التكوير: 15 - 21]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا سَاق ﴿٢٢﴾ مَا سَاقَ مِنْ أَحْوَالٍ تَدُلُّ عَلَى شِدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: أَتَبَعَ ذَلِكَ بَبَيَانِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﴿٢١﴾ صَادَقٌ فِيمَا يُبَلِّغُهُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾... ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: وَجَاءَ ذَلِكَ تَقْرِيرًا لِصِدْقِ مَا ذَكَرَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ أَحْدَاثٍ، وَتَأْكِيدًا عَلَى وَقُوعِهَا، وَانْتِزَاعًا لِكُلِّ شَكٍّ فِي صِدْقِهِ مِنْ نَفْسِهِمْ^(١).

إِثْبَاتُ أَنَّ الْقُرْآنَ
الْكَرِيمَ مِنْ عِنْدِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَصِدْقُ جَمِيعِ
أَخْبَارِهِ

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بِالْخُنُوسِ﴾: (خنس) أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْفَاءٍ وَتَسْتُرٍ، قَالُوا: الْخُنُسُ الذَّهَابُ فِي خَفِيَّةٍ، يُقَالُ: خَنَسَتْ عَنْهُ، وَأَخْنَسَتْ عَنْهُ حَقَّةً، وَالْخُنُسُ: النُّجُومُ تَخْنِسُ فِي الْمَغِيبِ، وَقَالَ قَوْمٌ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَخْفَى نَهَارًا، وَتَطْلُعُ لَيْلًا، وَيُقَالُ: هِيَ الْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ مِنْهَا دُونَ الثَّابِتَةِ، وَالْخُنَّاسُ مِنْ صِفَةِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّهُ يَخْنِسُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى⁽²⁾، وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾: إِنَّهَا النُّجُومُ الْخَمْسَةُ: زُحْلٌ، وَالْمَشْتَرَى، وَالْمَرِيخُ، وَالزُّهْرَةُ، وَعِطَارْدُ؛ لِأَنَّهَا تَخْنِسُ فِي مَجْرَاهَا وَتَكْنِسُ، أَيْ تَسْتَتِرُ كَمَا تَكْنِسُ الطُّبَاءُ فِي الْمَغَارِ، وَهِيَ الْكِنَاسُ، وَيُقَالُ: سُمِّيَتْ خُنْسًا لِتَأْخُرها؛ لِأَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الْمُتَحَيِّرَةُ الَّتِي تَرْجِعُ، وَتَسْتَقِيمُ⁽³⁾.

(1) طَنْطَاوِي، التفسير الوسيط: 300 / 15.

(2) ابْنُ فَارَسٍ، معجم مقاييس اللغة: (خنس).

(3) الْجَوْهَرِيُّ، الصحاح: (خنس).

(2) ﴿الْجَوَارِ﴾: (جري) أصلٌ يدلُّ على انتقالٍ بحركةٍ خفيفةٍ سريعةٍ مسترسلةٍ متَّصلةٍ كَسِيلانِ الماءِ والدمِ وكجريانِ الفرسِ، وَجَرَتِ الشَّمْسُ وسائرُ النجومِ: سارت من المشرق إلى المغرب، وكذا السفينة والرياح - وكلُّها فيه خِفَّةُ الحركةِ - قال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، ﴿وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة: 164]، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: 38]، ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي﴾ [ص: 36]. ومعنى قوله تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾: الكواكب الخمسة الداراري، والآية تصلح لكل الكواكب⁽¹⁾.

(3) ﴿الْكُنُوسِ﴾: (كنس) أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على سَفَرٍ شيءٍ عن وجه شيء، وهو كَشْفُهُ، والأصل الآخر يدلُّ على استخفاء. فالأول: كَنَسَ البيت، وهو سَفَرُ التراب عن وجه أرضه، والمِكنَسَة: آلة الكنس، والكناسة: ما يُكْنَسُ، فالْكُنُوسُ: تنحية ما انتشر على وجه المكان، وإبعاده وتغييبه⁽²⁾، والأصل الآخر: الكِنَاسُ: بَيْتُ الطَّبَّيِّ، والكانِسُ: الطَّبَّيُّ يَدْخُلُ كِنَاسَهُ، و﴿الْكُنُوسِ﴾: الكواكب تكنس في بروجها، كما تدخلُ الأطباء في كِنَاسِها، قال أبو عبيدة: تكنس في المغيب⁽³⁾.

(4) ﴿عَسَسَ﴾: (عسس) أصلٌ يدلُّ على نفاذٍ في الكثيف، أو منه مع صعوبة، تقول: عَسَّ يَعُسُّ عَسًا وَعَسَسًا؛ فهو عَاسٌّ إذا طاف بالليل، يحرس النَّاسَ، ويكشف أهل الرِّبِية، وعسس الذئب، أي: طاف بالليل، وعسست السحابة؛ إذا دنت من الأرض ليلاً، ويقال أيضاً: عَسَسَ الليلُ؛ إذا أقبل ظلامه، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾: إذا أقبل، أو إذا أدبر، أي: بدأ ظلامه مختلطاً ببقية الضوء، أو بدأ رحيلة، فاخترق ظلامه أوائلُ الضوء⁽⁴⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُقسَمُ سبحانه ببعض عظام خلقه، وهو هنا حركة الكواكب الدُّرِّيَّة؛ إذ تتردّد في حركتها بين التَّوَارِي والاختفاء، والظهور والتجلي، خلال جريانها في رحلتها ضمن

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جري).

(2) طبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (كنس).

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (كنس).

(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عسس).

الله تعالى
يمنح أولياءه
القوة على حمل
أعباء الأمانة
وتوصيلها إلى
أهلها

منظومة كونه العظيم ﷻ، كأنها الظباء تهرب إلى كنسه، وغيرها من المخلوقات البرية تتوارى في مخابئها هرباً من الناس، ثم تخرج. وَيُقَسِّمُ بالليل حين يُقبل، ويدبر، فيخفت الضوء: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾، وكذلك بالنهار حين ينتشر ضوءه، وتتحرك المخلوقات، وتنتشر في رحلة تحصيل معاشها ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

يقسم الله تعالى بكل ذلك على صدق القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم قول جبريل ﷺ الذي حمله من عند الله تعالى إلى الرسول ﷺ، فهو أمين وحي السماء إلى الأرض، والله تعالى قد منحه قوة شديدة يقوم بمقتضاها بأداء الوحي على الوجه الأكمل، وأنه كريم على ربه تعالى، مطاع بين الملائكة الكرام في السماء، وأنه أمين في نقل الوحي وإيصال رسالة القرآن، كما حُمِّلَهَا بلا تزيُّد ولا انتقاص. أو يقسم تعالى على صدق هذا القرآن الكريم، وأنه قول الرسول ﷺ بوصفه حاملاً له إلى الناس، وأنه ﷺ كريم على ربه، وقد منحه ﷺ القوة على حمل أعباء الرسالة وتوصيلها إلى الناس، وأنه عند ربه ذو مكانة، وأنه مطاع في الملأ الأعلى، موصوف بالأمانة فلا يزيد في الرسالة شيئاً، ولا يُنقص منها شيئاً.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى (الفاء)، ودلالة (لا) في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾: (الفاء) في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ فصيحةٌ، مؤذنة بمحذوف، والتقدير: إذا كان الأمر كما ذكرت لكم من أن البعث حقٌّ، فأقسم بالنجوم التي تخنس بالنهار... إن هذا القرآن لقول رسول كريم⁽¹⁾.

الفاء الفصيحة
عُنصر إيجاز
مهم في توثيق
غرى التراكيب

ويصحُّ كذلك أن تكون (الفاء) لتفريع القسم وجوابه على الكلام

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 301/15.

السابق؛ للإشارة إلى ما تقدّم من الكلام، وهو بمنزلة التمهيد لما بعد (الفاء)؛ فإن الكلام السابق أفاد تحقيق وقوع البعث والجزاء، وهم قد أنكروه، وكذّبوا القرآن الذي أنذرهم به، فلما قضى حقّ الإنذار به، وذَكَرَ أشرّاطه؛ فرّع عنه تصديق القرآن الذي أنذرهم به، وأنه موحى به من عند الله تعالى؛ فالتفريع هنا تفريعٌ معنئى وتفرّيع ذِكْرٍ معاً، وقد جاء تفرّيعُ القَسَمِ لمجرد تفرّيع ذكر كلامٍ على كلام آخر كقول زهير:

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله *** رجالٌ بنوّه من قريشٍ وجُرْهُمِ
عَقَبَ نَسِيبَ مُعَلَّقَتِهِ - الذي لا يتفرّع عن معانيه ما بعد القسم -
وإنما قَصَدَ به أن ما تقدّم من الكلام إنما هو للإقبال على ما بعد
الفاء، وبذلك يظهر تفوّق التفرّيع الذي في هذه الآية على تفرّيع
بيت زهير⁽¹⁾.

معنى (لا) في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾:

تعدّدت آراء العلماء في (لا) الداخلة على فعل القسم ﴿أُقْسِمُ﴾، فمن قائل بزيادتها، ويكون المعنى: فأقسم بالخُنَّس...⁽²⁾، ومن قائل بأنها نافية؛ فيكون المعنى على ظاهره من نفي القسم بالخُنَّس الجوار الكنس؛ تنزيهاً لله ﷻ أن يُقْسَمَ على أمرٍ لا يحتاج إلى قسم لظهوره ظهوراً يكاد يكون بديهياً، وهو أن هذا القرآن من عند الله ﷻ، نزل به أمين وحي السماء على أمين وحي الأرض، وذكر غير هذا من الأقوال، وعلى كلّ حال، فالمراد بها جميعاً الدلالة على عظمة هذه المخلوقات الدالّة على عظمة خالقها ﷻ، وكذلك الدلالة بها على عظمة المقسم عليه، وهو القرآن الكريم، وكونه من عند الله تعالى.

عظمة المقسم
به بدّل على
عظمة المقسم
عليه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 152.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 353.

غرض القَسَم في قوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْحَنُوسِ﴾ وما بعده:

القَسَم ﴿بِالْحَنُوسِ﴾ وما بعده "مُرَادُ به تأكيد الخبر وتحقيقه"⁽¹⁾، والتبنيه إلى عظمة المُقَسَم به والمُقَسَم عليه - وهو "علوُّ سَنَدِ القرآن وجلالته، وحفظه من كل شيطان رجيم"⁽²⁾، والأشياء التي وقع بها القَسَم تقتضي أنه "ما من شيء خلقه الله تعالى إلا وفيه دليل وحدانيته، وآية ربوبيته، إذا أنعم النظر فيه، ويثبت علمه وحكمته، ويدل على قدرته وسلطانه، وفي تثبيت القدرة والسلطان إيجاب القول بالبعث، وإيجاب القول بالرسول، ونهي عن عبادة غير الله، فلو أنعموا النظر فيها، وتفكروا في أمرها؛ لأداهم ذلك إلى القول بالبعث، ودعاهم إلى وحدانية الرب والإقرار بالرسول؛ فلا يدعون أن معه آلهة أخرى، ولا كانوا ينكرون البعث، ولا يكذبون الرسول، فأقسم بهذه الأشياء على التأكيد لحججه؛ ليعلموا أنه رسول من عنده، أو أن القرآن من عنده، أو أن الأوامر من عنده، أو الرسول من عنده"⁽³⁾.

قسمه تعالى
بما ظهر من
المخلوقات قسم
في الحقيقة بالله
تعالى

نكتة عَطَف القَسَم بـ (اللَّيْلِ) على القَسَم بـ (الخنس الجوار الكنس):

عَطَف القسم بـ (الليل) على القسم بـ (الكواكب)؛ لمُناسبة جريان الكواكب في الليل، ولأنَّ تعاقب الليل والنهار من أجلِّ مظاهر الحكمة الإلهية في هذا العالم⁽⁴⁾.

التناسب بين
المعاني القرآنية
دقيق وثيق

وإلى ذلك فإنه لما ذكر غيابها؛ ففهم منه محلُّه، وهو النهار - ذكر محل ظهورها، فأفهم الظهور، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ﴾، أي: الذي هو محل ظهور النجوم، وزوال خنوسها وذهاب كنوسها ﴿إِذَا عَسَسَ﴾، أي: أقبل ظلامه، واعتكر سواده وفتامه، فظهرت الكواكب زهرًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 152.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 913.

(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10 / 433.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 154.

منثورًا في بيداء تلك الغياهب، فإن فيه نقصانًا بالظلام وغير ذلك من الأحكام⁽¹⁾.

نكتة التقيد بـ ﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾:

الظواهر الكونية
للتكررة دليل
على الوحدانية
وعظيم القدرة
الإلهية

جاء تقيد عسوسة الليل بـ ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ مطابقةً للواقع، فإن (الليل) يُعَسِسُ كل يوم ضمن منظومة النظام الكوني المطرد، بموجب قول الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5].

و﴿إِذَا﴾ تتأزر مع عناصر النظم الكريم على تنبيه المخاطبين إلى تلك الظاهرة الكونية المتكررة، الدالة على عظيم القدرة الإلهية، ووجوب الإيمان بالله تعالى، والاستجابة للرسالة المحمدية.

دلالة التعبير بالفعل ﴿عَسَسَ﴾:

من بديع
النظم الكريم
استعمال
الأضداد المناسب
معناها للمقام
والسياق

معنى ﴿عَسَسَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾، أي: أدبر، أو: أقبل بظلامه، قال أهل اللغة: هو من الأضداد، يقال: عسَسَ الليل؛ إذا أقبل، وعسَسَ؛ إذا أدبر⁽²⁾، وصَوَّبَ الطبري أنَّ معناه هنا (أدبر)، فقال: "والأولى بالصواب عندي قول مَنْ قال معنى ذلك: إذا أدبر؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ فدلَّ بذلك على أن القسم بالليل مُدْبِرًا، وبالنهار مُقْبِلًا، والعربُ تقول: عَسَسَ الليلُ، وسَعَسَعَ الليلُ؛ إذا أدبر، ولم يَبْقَ منه إلا اليسير"⁽³⁾.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾:

مخلوقات الله
تعالى كُلُّها
متعاضدة في
الدلالة على
عظمته سبحانه

(الواو) في قوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ عاطفة على جملة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾، "عَطَفَ عليه القسم بـ (الصبح) حين تنفُّسه - أي:

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21 / 286.

(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4 / 431.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24 / 159.

انشقاق ضوءه - مُناسبة ذكر الليل، ولأن تنفُّس الصبح من مظاهر بديع النظام، الذي جعله الله تعالى في هذا العالم⁽¹⁾.

نكتة التقيد بـ ﴿إِذَا﴾:

الصُّبح هو طلوع الفجر، أو طلوع الشمس⁽²⁾، وتنفُّسه انتشار الحركة وتقلب الأحياء فيه، وتقويده بـ ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ مطابق للواقع؛ إذ لا يتخلَّف ذلك النظام الكوني الدقيق، كما قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ۝﴾ [الرحمن: 5]، وفي ﴿إِذَا﴾ تنبيهه على تحقق تلك النعمة الجليلة، المؤذنة بعودة النشاط والحركة إلى أهل الكوكب مع بزوغ النهار الجديد، فينبغي للعباد أن يتنبَّهوا إلى تلك النعمة المتجددة عليهم، وأن يشكروا ربهم تعالى عليها.

بلادة المقابلة:

بين قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ مقابلةً بديعة؛ إذ يزيد كلُّ معنى منهما المعنى المقابل له جلاءً وبهاءً؛ إذ إنَّ طبيعة الإنسان تميل إلى التجديد، وتملُّ تناول الليل عليها أبدًا وبقاء النهار عليها أبدًا، وفي بقاء أحدهما أبدًا تفويتٌ لكثير من مصالح العباد، وفي الذكر الحكيم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝﴾ [ي: 67] قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝﴾ [القصص: 71 - 72].

فذكر النهار وتنفُّسه بإزاء ذكر الليل وعسسته يبعث في النفس تجدُّدًا وارتياحًا، وينبِّه أيضًا إلى قدرة الخالق العظيم ﷻ، وعظيم نعمه على خلقه.

على العباد أن
يتنبَّهوا إلى نعم
الله المتجدِّدة،
وأن يشكروه
تعالى عليها

مقابلة النهار
وتنفُّسه ليل
وعسسته
تبعث في النفس
تجدُّدًا وارتياحًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 154.

(2) اللاوادي، النكت والعيون: 6 / 217.

موقع جملة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾:

من تأمل عظمة
للخلوقات؛ علم
عظمة خالقها،
وصدق ما أخبر
به

جملة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ جواب القسم المنفي: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْخَنَّسِ﴾، أي: "فلا أقسم لكم بالخنس، الجوار الكنس، ولا بالليل؛ إذا عسعس، ولا بالصبح؛ إذا تنفس، بأن أخبار يوم القيامة وأحداثها واقعة لا شك فيها، وأن هذه الأخبار التي تحدثكم عن هذا اليوم، هي قول رسول كريم، هو رسول الوحي جبريل ﷺ، بلغ به كلمات ربه إليه، لا أقسم لكم بهذه العوالم على وقوع هذا الخبر، فإنه بين ظاهر"⁽¹⁾.

غرض التوكيد في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾:

التوكيد منهج
قرآني في انتزاع
الشك وتثبيت
الحق مكانه في
النفوس

الذي اقتضى التوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أنهم كانوا يكذبون بالدين، ويُنكرون أن هذا القرآن الكريم كلام الله تعالى، ويشككون في أنه نزل به الروح الأمين؛ فأكد لهم الخبر بـ (إن)، و(اللام)، واسمية الجملة؛ معالجة لتلك النفوس المتمردة، وانتزاعاً للإنكار منها، وذلك التوكيد من مناهج القرآن في معالجة النفوس الذاهبة عن الحق، المنكرة له.

مرجع الضمير المتصل بـ (إن):

إبهام مرجع
الضمير وعدم
سبق ذكره يؤذن
بعظمته، ويُنْبئ
عن خطورته

الضمير المتصل بـ (إن) في قول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، ولم يسبق له ذكر، ولكنه معلوم من المقام في سياق الإخبار بوقوع البعث؛ فإنه مما أخبرهم به القرآن الكريم، وكذبوا بالقرآن الكريم لأجل ذلك⁽²⁾، أي: هذا الذي أتاكم به مُحَمَّد ﷺ تلقاه عن رسول كريم على ربه سبحانه، وهو جبريل ﷺ⁽³⁾.

ويحتمل أن يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ للبعث والجزاء، المفهوم من قوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾⁽⁴⁾.

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 1473 / 16.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 154 / 30.

(3) للتريدي، تأويلات أهل السنة: 435 / 10.

(4) القاسمي، محاسن التأويل: 419 / 9.

وابهائم مرجع هذا الضمير وعدم سَبَق ذكره يُؤذِن بخطورته،
وَيُنْبِئُ عن جلاله، فإن كان مرجعه هنا القرآن الكريم؛ فإنه من
العظمة والجلال بمكان، وإن كان مرجعه البعث والجزاء؛ فما أشد
خطورتهما لما يتوقَّف عليهما من تحديد مصير كل واحد من العباد!

دلالة التعبير بـ (قول)، ولطيفة إضافته:

التعبير عن مرجع الضمير بالـ (قول) في جملة جواب القسم:
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ - سواءً كان القرآن الكريم أو البعث
والجزاء - يتَّسَّق مع التعبير بـ (رَسُولٍ)؛ ويتَّأزَّر معه في التأكيد على
أن معاني ذلك القول من الله تعالى، وأن الرسول حامل (قول) لا
يزيد فيه، ولا ينقص منه.

الرسول يُبَلِّغُ
رسالة الله
تعالى كما هي
بلا إضافة ولا
إنقاص

ونُسِبَ الـ (قول) إلى الـ (رَسُولٍ) مع أنَّه قد تلقَّاه من جبريل؛ لما
سَمِعَ منه، ولم يكن من قبله، وقد قال في آية أخرى: ﴿حَقٌّ يَسْمَعُ
كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6]، فسمَّاه: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6] على الموافقة للواقع،
أو لما أنَّ ابتداءه يَرْجِعُ إليه ﷺ، لا أنَّ يكون المسموع كلامه ﷺ، فإذا
قيل: هذا قول أبي حنيفة رحمه الله، وهذا قول فلان الشاعر، فليس
الذي سمعته قول من نُسِبَ إليه، ولكن نُسِبَ إليه؛ لأنَّ ابتداءه يَرْجِعُ
إليه، فكَذلك سمي: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6]؛ لأنه يدل على كلامه تعالى،
ولما يَرْجِعُ إليه ابتداءً، لا أنَّ يكون هو نفس كلامه ﷺ⁽¹⁾.

بيان المراد بقوله: ﴿رَسُولٍ﴾:

المراد بـ (رَسُولٍ) في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾
جبريل، نَزَّلَهُ على محمد بن عبد الله⁽²⁾ - عليهما الصلاة والسلام
- أو المقصود به النبي ﷺ؛ لأنَّ "الصفات التي أُجريت على رسول
في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿أَمِينٍ﴾ غير

الرسول مَبَلِّغُ
عن الله تعالى
مراده إلى خلقه

(1) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 435 / 10.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 163 / 24.

متعين انصرافها إلى جبريل، فإنها محتملة الانصراف إلى محمد ﷺ⁽¹⁾.

نكتة التقيد بوصف ﴿كَرِيمٍ﴾:

وصف صاحب
القول يرجع إلى
شرف ما جاء به

القيد بوصف ﴿كَرِيمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يقتضي رَفْعُ المَذاَمِ⁽²⁾ التي وُصِمَ الكفار بها جبريل ﷺ، فيُقرَّر هذا القيد "كرم أخلاقه، وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه"⁽³⁾، وكذا يرفع القيد تلك التَّهَم التي وصفوا بها النبي ﷺ.

وأيضاً فإنَّ في تعديد أوصاف ﴿رَسُولٍ﴾ تنويهاً بالقرآن، فإجراءً أوصاف الثناء على ﴿رَسُولٍ﴾ للتنويه به أيضاً، وللكناية على أنَّ ما نَزَلَ به صدق؛ لأنَّ كمال القائل يدلُّ على صدق القول، ومعنى ﴿كَرِيمٍ﴾ النفيس في نوعه⁽⁴⁾، ومن كرم الكريم هنا أنَّه يُعطي أفضل العطايا، وهو المعرفة والهداية والإرشاد⁽⁵⁾.

نكتة التقيد بالوصف ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾:

أمين الوحي غير
عاجز عن تنفيذ
ما يُكَلِّف به من
رَبِّه تعالى

في القيد بوصف ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ دلالة على أنَّ ما كُلف من أمر؛ فإنَّه غيرُ عاجزٍ عنه⁽⁶⁾، وفيه بيان الأَمَنِ عن تغييرٍ يقع فيه من الأعداء من الجنِّ والشیاطين والإنس، يَحْتَجِزُ عنهم بقوَّته؛ فلا يتمكَّنون منه حتى يُغيِّروه، ويبدِّلوه.

أو وصفه بالقوة على التخويف والتحذير؛ للذين عادوا محمداً ﷺ، فيخبرهم أنَّ معه مَنْ يدفع عنه شرَّهم وكيدهم؛ إن همَّوا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 158 / 30.

(2) ابن عطية، لحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 444 / 5.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 913.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 155 / 30.

(5) الفخر الرَّازي، مفاتيح الغيب: 69 / 31.

(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 163 / 24.

بذلك، وقيل: المراد القوة في أداء طاعة الله تعالى، وترك الإخلال بها من أوّل الخلق إلى آخر زمان التكليف، وقيل: لا يبعد أن يكون المراد قوة الحفظ والبُعد عن النسيان والخلط⁽¹⁾.

دلالة ﴿عِنْدَ﴾ في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾:

العِنْدِيَّةُ في قول الله تعالى في وصف الرّسول: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ ليست عِنْدِيَّةً مكانٍ ومنزل، وإنما عِنْدِيَّةً مكانةً ومنزل، و"عِنْدِيَّةُ إِكْرَامٍ وَتَشْرِيفٍ"⁽²⁾، وعِنْدِيَّةُ تَعْظِيمٍ وَعِنَايَةٍ، فـ ﴿عِنْدَ﴾ هنا للمكان المجازي، الذي هو بمعنى الاختصاص والزُّلْفَى⁽³⁾، فلما كانت حال المكانة على حسب حال المكين؛ قال: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾؛ ليدل على عِظَم منزلته ومكانته⁽⁴⁾.

نُكْتةٌ تَوْسِيْطُ ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾:

﴿ذِي الْعَرْشِ﴾، أي: ربّ العرش العظيم⁽⁵⁾، وفي توسيط قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ بين صفتي: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، و﴿مَكِينٍ﴾ إتاحةٌ لأن يَتَنَازَعَ كلا الوصفَيْن على وجه الإيجاز، أي: هو ذو قوة عند الله تعالى، أي: جَعَلَ الله تعالى مقدرةً جبريل تَحْوُلُهُ أَنْ يقوم بعظيم ما يوَكِّله الله تعالى به مما يحتاج إلى قوة القدرة وقوة التدبير، وهو ذو مكانة عند الله وَزُلْفَى⁽⁶⁾، وأنه مسدّدٌ من ذي العرش سبحانه.

وُحْصَ من أوصاف الله تعالى ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾؛ ليدل على عِظَم منزلة جبريل عند الله ومكانته؛ لأنّ حال الشخص يتفاوت بتفاوت

جبريل
عظيم المكانة
عند الله تعالى

جبريل
مسدّدٌ من ذي
العرش

(1) الألوسي، روح المعاني: 15 / 264.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9 / 118.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 156.

(4) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3 / 607.

(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24 / 163.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 156.

حال مَنْ له عنده المنزلة، فمرتبته مَنْ يُلازم السلطان عند سرير الملك مُبايِنٌ لمرتبته مَنْ يلازمه عند الوضوء⁽¹⁾.

نكتة العدول عن الاسم الجليل إلى وصف «ذِي الْعَرْشِ»:

في العدول عن الاسم الجليل إلى «ذِي الْعَرْشِ» تمثيلُ حال جبريل ومكانته عند الله، بحالة الأمير الماضي في تنفيذ أمر الملك، وهو بمحل الكرامة لديه، وهذا على القول بأنَّ المقصود بـ «رَسُولٍ» هو جبريل، وأمّا على القول بأنّه النبيُّ ﷺ؛ فإشارة إلى عظيم شأنه؛ إذ كان ذا قوّة عند أعظم موجود شأنًا⁽²⁾.

دلالة التعبير بوصف «مَكِينٍ»:

في التعبير بوصف «مَكِينٍ» دلالة على أنه ذو مكانة رفيعة، وشرفٍ عند الله العظيم ﷻ، وهو فعيل من المكانة⁽³⁾، وجبريل ﷺ عند الله تعالى مطاعٌ في ملائكته المقربين، يصدرّون عن أمره، ويرجعون إلى رأيه⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بـ «مُطَاعٍ»:

في التعبير بـ «مُطَاعٍ» إشارة إلى أنه مطاعٌ فيمن نزل عليه من الأنبياء⁽⁵⁾، وإلى طاعة الملائكة له، فقد أمر خازن الجنة ليلة المعراج بمحمدٍ ﷺ؛ حتى فتح لمحمدٍ ﷺ أبوابها، فدخلها، ورأى ما فيها، وأمر خازنَ جهنم، ففتحَ له عنها حتى نظر إليها⁽⁶⁾، قال الحسن: فرضَ الله تعالى على أهل السماوات طاعة جبريل، كما فرض على أهل الأرض طاعة محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم⁽⁷⁾.

جبريل
مطاع في المأدب
الأعلى

(1) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 316 / 16.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 156 / 30.

(3) الألويسي، روح المعاني: 264 / 15.

(4) الزمخشري، الكشاف: 712 / 4.

(5) للاوردي، النكت والعيون: 218 / 6.

(6) الواحدي، التفسير الوسيط: 431 / 4.

(7) خان محمد صديق، فتح البيان في مقاصد القرآن: 106 / 15.

دلالة التعبير بالأمانة في قوله: ﴿ثُمَّ أَمِينٌ﴾:

الأمينُ هو الذي قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزَّلَل⁽¹⁾، فَيَحْفَظُ ما عَهِدَ له به حتى يُؤَدِّيَه دون نَقْصٍ ولا تَغْيِيرٍ، وهو فعيل إما بمعنى مفعول، أي: مَأْمُونٌ مِنْ أَمَنَتهِ على كذا، وإما صفة مشبهة مِنْ أَمَّنَ - بضم الميم - إذا صارت الأمانة سجيته⁽²⁾.

ففي وصف جبريل بـ ﴿أَمِينٌ﴾ دلالة على أنه أمين عند الله على وحيه ورسالاته، وغير ذلك ممَّا ائْتَمَنَ عليه⁽³⁾، وأنَّه يأمن الخلقُ ناحيته⁽⁴⁾، وفيه تعريض بالكافرين؛ إذ إن الملائكة يَأْتَمِنُونَهُ، ولا يَتَهَمُونَهُ في شيء مما يجيء به إليهم، فكيف يَتَهَمُهُ هَؤُلَاءِ فيما يأتي إلى الرسول مِنَ الوحي⁽⁵⁾؟

الكفار أهل

ضلال وتناقض

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 70 / 31.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 157 / 30.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 164 / 24.

(4) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 435 / 10.

(5) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 436 / 10.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-45-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"